جون سي ماكسويل

كيف يفكر الناجحون



كيف يفكر الناجحون

كيف يفكر الناجحون

غير طريقة تفكيرك تتغير حياتك

تأليف
جون سي ماكسويل

ترجمة
فايقة جرجس

مراجعة
مروة عبد الفتاح شحاتة



كيف يفكر الناجحون

How Successful People Think

جون سي ماكسويل

John C. Maxwell

الطبعة الأولى ٢٠١٢م
رقم إيداع ٢٠٨١٢/٢٠١١

كلمات عربية للترجمة والنشر
إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢+ **فاكس:** ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢+
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

ماكسويل، جون سي.
كيف يفكر الناجحون / تأليف جون سي ماكسويل . - القاهرة : كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١١.
١٣٦ص، ١٤,٥×٢١,٠سم
تدمك: ٤ ١٨ ٥١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨
١- النجاح الشخصي
أ- العنوان
١٥٨,١

الغلاف: تصميم هاني ماهر.

المحتويات

شكر وتقدير

أود أن أتقدم بالشكر إلى مارجريت ماكسويل، التي تشاركني أفكارها بصفة يومية.

وإلى تشارلي ويتزل، الذي يتولى عملية الكتابة.

وإلى ستيفاني ويتزل، المسئولة عن تحرير مسوداتي وتنقيحها.

وإلى ليندا إيجرز، التي تتولى تنظيم شئون حياتي.

مقدمة

لا شك أن المفكرين الأكفاء مطلوبون على الدوام. من الممكن أن يجد الشخص الذي يعرف كيفية إنجاز الأمور عملًا، لكن الشخص الذي يعرف أسباب إنجاز تلك الأمور، سيكون رئيس الشخص الأول في العمل. إن المفكرين الأكفاء يحلون المشكلات، ولا تنعدم لديهم قط الأفكار التي من شأنها تأسيس شركات، ودائمًا يراودهم الأمل في مستقبل أفضل، وقلما يجدون أنفسهم تحت رحمة أناس قساة يستغلونهم أو يحاولون خداعهم، أمثال الديكتاتور النازي أدولف هتلر، الذي تفاخر في وقت من الأوقات قائلًا: «من حسن حظ الحكام أن الناس لا يفكرون.» أولئك الذين ينمون عملية التفكير السليم يمكنهم أن يحكموا أنفسهم، حتى لو كانوا واقعين تحت وطأة حاكم مستبد أو يمرون بظروف صعبة أخرى. خلاصة القول: المفكرون الأكفاء ناجحون.

وعلى مدى أربعين عامًا أجريت فيها تحليلًا للشخصيات الناجحة ودرستها، وبالرغم من شدة الاختلافات بينهم، فقد وجدت قاسمًا مشتركًا بينهم، ألا وهو: الطريقة التي يفكرون بها! وهذه هي السمة الوحيدة التي تميز الناجحين عن غيرهم. وأود أن أبشركم بأن الطريقة التي يفكر بها الناجحون يمكن اكتسابها؛ فإذا غيرت طريقة تفكيرك، يمكنك أن تغير حياتك!

(١) لماذا تحتاج إلى تغيير طريقة تفكيرك؟

مهما أكدنا على أهمية تغيير طريقة تفكير المرء، فلن نكون مبالغين. إن التفكير السليم يمكنه أن يحقق لك الكثير من الأشياء؛ فهو يُدر الدخل،

ويحل المشكلات، ويوجد الفرص، بل يمكنه أن يحقق لك نقلة جديدة كليةً، على المستوى الشخصي والمهني؛ فهو قادر بالفعل على تغيير حياتك.

وإليك بعض الأمور التي ينبغي لك أخذها بعين الاعتبار فيما يتعلق بتغيير طريقة تفكيرك:

(١-١) تغيير طريقة التفكير لا يحدث من تلقاء نفسه

للأسف، لا يتغير التفكير من تلقاء نفسه. فقلما تنبع الأفكار العظيمة من العدم ومن ثم تبحث عن إنسان تراوده. لكن إذا أراد الإنسان العثور على فكرة عظيمة، فلا بد أن يبحث عنها. وإذا أردت أن تحسن من طريقة تفكيرك، فعليك أن تجتهد من أجل هذا. وما إن تبدأ في تحسين طريقة تفكيرك، حتى تطرأ لك الأفكار العظيمة باستمرار. وبلا ريب، يعتمد قدر التفكير السليم الذي يمكن أن تمارسه في أي وقت من الأوقات في المقام الأول على قدر التفكير السليم الذي تمارسه في حياتك بالفعل.

(١-٢) تغيير طريقة التفكير ليس بالأمر اليسير

عندما تسمع أحدهم يقول: «أقول هذا دون تفكير»، فتوقع أن ما يقوله كلام فارغ. وأولئك الذين يظنون التفكير سهلًا هم أناس لم يعتادوا التفكير. ذكر الفيزيائي الحائز جائزة نوبل ألبرت أينشتاين، أحد أفضل المفكرين على مر التاريخ، ذات مرة أن «التفكير عملية شاقة؛ لهذا لا يمارسه سوى القليل.» ولمّا كان التفكير عملية شاقة، فعلى الإنسان أن يبذل كل ما في وسعه لتحسينها.

(١-٣) تغيير طريقة التفكير يستحق الاستثمار

قال الكاتب نابليون هيل: «إن قدر الذهب الذي استخلصناه من أفكار البشر يفوق كثيرًا قدر الذهب الذي استخرج من باطن الأرض.» وعندما تقضي الكثير من الوقت في تعلم كيف تغير من طريقة تفكيرك وتطورها، فأنت بذلك تستثمر في نفسك. إن مناجم الذهب تنفد، والأسواق المالية معرضة للانهيار،

والاستثمارات العقارية قد تسوء أوضاعها، ولكن عقل الإنسان الذي يملك القدرة على التفكير السليم أشبه بمنجم ماس لا ينفد أبدًا؛ ولا يُقدر بثمن.

(٢) كيف تطور تفكيرك؟

أتريد أن تتقن عملية التفكير السليم؟ أتريد أن تصبح طريقتك في التفكير غدًا أفضل من طريقتك في التفكير اليوم؟ إذن أنت بحاجه للانخراط في عملية مستمرة من شأنها أن تحسن طريقة تفكيرك. أقترح عليك أن تفعل الآتي:

(٢-١) هيئ لنفسك بيئة معلومات جيدة

المفكرون الأكفاء يمهدون دائمًا الطريق أمام تدفق الأفكار، فدائمًا يبحثون عن الأشياء التي تحفز بدء عملية التفكير، لأن المدخلات تؤثر دائمًا على المخرجات.

اقرأ الكتب، واطلع على المجلات التجارية، واستمع إلى المحاضرات، واقض وقتك مع المفكرين الأكفاء. وعندما يحيرك شيء ما — سواء أكان وليد أفكار شخص آخر أم من بنات أفكارك أنت — فضعه نصب عينيك. دونه على ورقة وضعها في مكان التفكير المفضل لك كي تحفز تفكيرك.

(٢-٢) اقض وقتك بصحبة المفكرين الأكفاء

اقض وقتك مع الأشخاص المناسبين. عندما كنت أعمل بهذا الجزء من الكتاب وكنت أخبر به بعض الأشخاص المهمين في حياتي كي أعرف رأيهم وأتلقى اقتراحاتهم (كي أوسع أفكاري)، أدركت شيئًا عن نفسي؛ ألا وهو أن كل الأشخاص الموجودين في حياتي الذين أعتبرهم أصدقاء أو زملاء مقربين هم مفكرون. فمع أني أحب كل الناس وأحاول أن أعامل جميع من ألتقيهم بلطف وأرغب في أن أفيد أكبر عدد ممكن من الناس من خلال المؤتمرات والكتب والدروس المسجلة، وما إلى ذلك، فإن الناس الذين ألتمس وجودهم في حياتي وأفضل قضاء وقتي بمعيتهم، جميعهم يلهمونني بأفكارهم وأفعالهم. وهم يسعون على الدوام إلى التعلم وتطوير شخصياتهم. ينطبق هذا على

زوجتي مارجريت، وأصدقائي المقربين، والمسئولين التنفيذيين الذين يديرون شركاتي؛ فكل واحد منهم يعد مفكرًا بارعًا!

يقول كاتب سفر الأمثال سليمان الحكيم إنه كما يصقل الحديد الحديد، يصقل الإنسان صاحبه. فإذا أردت أن تكون مفكرًا ذا رؤية ثاقبة، فاقترب من أصحاب الرؤى الثاقبة.

(٢-٣) اختر أفكارًا سديدة للتفكير فيها

كي تحسن طريقة تفكيرك لا بد أن تمارس عمدًا عملية التفكير. ضع نفسك بصفة منتظمة في المكان المناسب كي تنعم النظر في أفكارك وتصوغها وتنميها وترسخها. اجعل هذا الأمر ضمن أولوياتك في الحياة. تذكر أن التفكير يأتي بالتدريب في المقام الأول.

تناولت الإفطار مؤخرًا بصحبة دان كاثي، مدير سلسلة مطاعم الوجبات السريعة «شيك-فيل-أيه» التي يقع مقرها الرئيسي في منطقة أتلانتا. أخبرته أنني أعمل بهذا الكتاب، وسألته هل يعطي أولوية كبيرة لوقت التفكير؟ فإذا به لا يجيبني بنعم فحسب، وإنما يخبرني أيضًا عن شيء يطلق عليه «برنامج التفكير»، الذي يعينه على التغلب على إيقاع الحياة السريع الذي يحبط عملية التفكير المتروي. ذكر دان أنه يخصص نصف يوم كل أسبوعين، ويومًا كاملًا كل شهر، ويومين أو ثلاثة كل سنة من أجل ممارسة عملية التفكير فحسب. وفسر دان لي الأمر قائلًا: «هذا يعينني على التركيز على «الأمور الجوهرية»، إذ إنه من السهل أن يتشتت ذهني.»

ربما يحتاج الإنسان أن يفعل شيئًا مماثلًا، أو يضع برنامجًا أو خطةً تناسبه. وأيًّا كان ما ستختار أن تقوم به، اذهب إلى مكانك المخصص للتفكير، وخذ معك ورقة وقلمًا، واحرص على أن تدون أفكارك كتابةً.

(٢-٤) تصرف وفقًا لأفكارك السديدة

إن الأفكار لها فترة صلاحية، ولا بد أن يتصرف الإنسان وفقًا لهذه الأفكار قبل تاريخ الانتهاء. قال إدي ريكينبيكر، أحد الطيارين الأبطال في الحرب

العالمية الأولى: «بمقدوري أن أقدم وصفة للنجاح مكونة من بضع كلمات: أنعم النظر في الأمر، واستكمل ما بدأته.»

(٢-٥) امنح عواطفك الفرصة لتكوين فكرة سديدة أخرى

كي تبدأ عملية التفكير، لا يمكنك الاعتماد على عواطفك. ذكرت في كتاب «النجاح من خلال الفشل» أنه أحرى بالمرء أن يتصرف قبل أن يستشعر برغبة في ذلك، من أن ينتظر حتى يشعر برغبة في التصرف. إذا انتظر الإنسان حتى يشعر بالرغبة في عمل شيء ما، فإنه غالبًا لن ينجزه مطلقًا. ينطبق الشيء نفسه على التفكير؛ فلكي تمارس التفكير، لن يمكنك الانتظار حتى تشعر بالرغبة في التفكير. بيد أنني اكتشفت أنه ما إن ينخرط الإنسان في عملية التفكير السليم، حتى يستخدم مشاعره كي يغذي عملية التفكير ويخلق قوة دافعة فكرية.

جرب هذا بنفسك. بعد أن تجتاز العملية المنضبطة لممارسة التفكير وتنعم ببعض النجاح، لا تمنع نفسك من الاستمتاع بتلك اللحظة. حاول أن تتحكم في الطاقة الذهنية التي يزودك بها هذا النجاح. فإذا كنت مثلي، فمن المحتمل أن يثير هذا لديك المزيد من الأفكار والآراء المثمرة.

(٢-٦) كرر العملية

إن فكرة واحدة جيدة لا تصنع حياة طيبة. غالبًا ينتهي الحال بالأشخاص الذين يمتلكون فكرة جيدة ويحاولون الاعتماد عليها طيلة حياتهم المهنية تعساء أو معدمين، كالمطرب الذي يحدث ضجة بأغنية واحدة فقط ويختفي من بعدها، والكاتب الذي يؤلف كتابًا واحدًا يحقق له شهرة، والخطيب الذي ليس لديه سوى رسالة واحدة، والمبتكر الذي ابتكر شيئًا واحدًا، فكل هؤلاء يمضون بقية عمرهم يناضلون من أجل حماية فكرتهم الوحيدة والترويج لها. إن النجاح حليف أولئك الذين لديهم منجم كبير من الذهب، يستخرجون منه باستمرار، وليس أولئك الذين يعثرون على قطعة ذهبية ويحاولون الاعتماد عليها طوال خمسين عامًا. ولكي تصبح الشخص الذي

يستطيع أن يستخرج كميات كبيرة من الذهب، فلا بد أن تحرص على تكرار عملية التفكير السليم.

(٣) اجلس في المكان المناسب للتفكير

أن يصير الإنسان مفكرًا كفئًا ليس بالأمر شديد التعقيد، إذ يمكنه اكتساب مهارة التفكير السليم بالتدريب والممارسة. وإذا اتبعت النقاط الست التي استعرضتها قبلًا، فستضع لنفسك بذلك نمطًا حياتيًّا قائمًا على التفكير السليم. لكن ماذا يفعل الإنسان كي يتوصل إلى أفكار معينة بصفة يومية؟

أود أن أعلمك عزيزي القارئ العملية التي استخدمتها كي أكتشف أفكارًا جيدة وأنميها، وهي بالطبع ليست الطريقة الناجحة الوحيدة، لكنها نجحت تمامًا معي.

(٣-١) التمس مكانًا لإنعام النظر في أفكارك

إذا ذهبت إلى مكانك المخصص للتفكير ولديك توقع بأنك ستطور أفكارًا جيدة، فإنك حتمًا ستأتي ببعضها. ولكن ما هو أفضل مكان لممارسة عملية التفكير؟ يختلف هذا من شخص لآخر؛ فالبعض يفكرون على نحو أفضل أثناء الاستحمام، وآخرون — مثل صديقي ديك بيجز — يؤثرون التفكير في حديقة عامة. أما أنا، فأفضل أماكني للتفكير هي سيارتي، وعلى متن الطائرات، وفي المنتجعات الصحية. تأتيني الأفكار في أماكن أخرى أيضًا؛ عندما أكون في فراشي على سبيل المثال (لهذا أحتفظ بمسند كتابة خاص مزود بمصباح على الطاولة المجاورة للفراش لمثل هذه الأوقات). أنا على يقين أن الأفكار تأتيني على نحو متكرر لأنني أقلمت نفسي على الذهاب باستمرار إلى الأماكن المخصصة للتفكير. وإذا ابتغيت أن تتوارد الأفكار إلى ذهنك بانتظام، فعليك أن تفعل الشيء نفسه؛ التمس لنفسك مكانًا يمكنك أن تمارس التفكير فيه، واعقد العزم على أن تعبر عن أفكارك كتابةً حتى لا تضيع منك. فعندما أجد لنفسي مكانًا لأنعم النظر في أفكاري، فستجد أفكاري مكانًا لها في ذهني.

(٣-٢) صغ أفكارك

قلما تأتي الأفكار مكتملة الجوانب، فمعظم الوقت نحتاج إلى صياغتها حتى يصير لها وجود. وكما يقول صديقي دان ريلاند: «لا بد أن تجتاز الأفكار اختبار الوضوح والتشكك.» في أثناء فترة صياغة الفكرة، لا بد أن تُخضع أفكارك للفحص الدقيق؛ ففي أوقات كثيرة نجد الفكرة التي تبدو رائعة في وقت متأخر ليلًا سخيفة نهارًا. اطرح أسئلة حول أفكارك ونقحها. إحدى أفضل الطرق للقيام بذلك هو أن تدون أفكارك على الورق. كتب إس أي هاياكاوا، البروفسور ورئيس الجامعة وعضو مجلس الشيوخ الأمريكي يقول: «إن تعلم الكتابة هو تعلم التفكير؛ فأنت لا تفهم شيئًا بوضوح ما لم تستطع أن تعبر عنه كتابةً.»

وفي الوقت الذي تصوغ فيه أفكارك، ستكتشف هل هذه الفكرة ممكنة أم لا، وستعرف إمكانياتك، وستكتشف أيضًا أشياء عن نفسك. إنني أشعر بالبهجة وقت صياغة الفكرة، لأنه يجمع ما بين:

(١) **المرح:** غالبًا تبث الأفكار التي لا تفلح مرحًا مبهجًا في النفس.

(٢) **التواضع:** أشعر بالرهبة والخيفة في الأوقات التي أتواصل فيها مع الله.

(٣) **الحماس:** أحب تصور الفكرة في ذهني (وأطلق على هذا «استشراف الفكرة»).

(٤) **الإبداع:** لا أسمح للواقع أن يعوقني في تلك اللحظات.

(٥) **الإشباع:** خلق الله الإنسان كي يفكر، وعملية التفكير تحقق أقصى استفادة من أعظم الهبات التي حباني بها الله وتمنحني الشعور بالإشباع.

(٦) **الصدق:** في الوقت الذي أدير فيه فكرة معينة في ذهني، أكتشف دوافعي الحقيقية.

(٧) **الشغف:** عندما تصوغ فكرةً، تكتشف ما الذي تؤمن به وما الذي يمثل أهمية في حياتك بحق.

(٨) **التغيير:** جاءت معظم التغييرات التي حدثت في حياتي نتيجة لتفكير عميق في موضوع ما.

يمكنك أن تصوغ أفكارك في أي مكان تقريبًا، لكن التمس المكان المناسب لذلك، بحيث تستطيع أن تدون أفكارك، وتركز انتباهك دون أي مقاطعات، واطرح الأسئلة حول أفكارك.

(٣-٣) نمِّ أفكارك

إذا خطرت لك أفكار عظيمة وقضيت الوقت في صياغتها في ذهنك، فلا تظن أن هذه هي نهاية المطاف، وإلا سيفوتك بعض من أكثر الجوانب نفعًا في عملية التفكير. سيفوتك أن تشارك الآخرين أفكارك، ومن ثم تحقيق أقصى استفادة ممكنة من الأفكار.

لا بد أن أقر أنه في وقت مبكر من حياتي كثيرًا ما كنت أقع في هذا الخطأ؛ إذ كنت أبغي أن أنقل فكرة لا تزال في طور البذرة إلى طور الحل النهائي قبل أن أعرضها على أي شخص، حتى أولئك الذين هم في أمس الحاجة إليها. كنت أفعل هذا في الأمور التي تخص العمل والمنزل، لكنني تعلمت على مدار السنين أنه يمكنك أن تحقق نجاحًا لو كنت بصحبة فريق، أكبر مما كنت ستحققه بمفردك.

وقد توصلت إلى صيغة يمكنها أن تعينك على تنمية أفكارك:

الأفكار الصحيحة + **الأشخاص** المناسبين
في **البيئة** الملائمة **والوقت** الصحيح
من أجل **الدافع** الحقيقي = **النتيجة المرجوة**

هذا المزيج من الصعب أن تجد له مثيلًا، والفكرة، شأنها شأن أي إنسان، يمكن أن تصير شيئًا عظيمًا. وعندما تستطيع أن تنمي أفكارك، ستكتشف هذه الإمكانية.

(٣-٤) ترسيخ الفكرة

يرى المؤلف سي دي جاكسون أن «الأفكار العظيمة تحتاج إلى عجلات وأجنحة للهبوط.» فكل فكرة لا تدخل حيز التنفيذ، لا تُحدث أثرًا عظيمًا، فالقوة

الحقيقية للفكرة تظهر عندما تنتقل من الحيز التجريدي إلى التنفيذي. تأمل معي نظرية النسبية لأينشتاين؛ عندما نشر أينشتاين نظرياته في عامي ١٩٠٥ و١٩١٦ لم تكن سوى أفكار متعمقة، لكن قوتها الحقيقية لم تظهر إلا مع ظهور المفاعل النووي عام ١٩٤٢ والقنبلة النووية عام ١٩٤٥، إذ تغير مجرى التاريخ بأكمله عندما طور العلماء نظريات أينشتاين ووضعوها حيز التنفيذ.

بالمثل لو أراد الإنسان أن تحدث أفكاره أثرًا عميقًا، فلا بد أن ترسخها مع الآخرين حتى يمكن أن تدخل يومًا ما إلى حيز التنفيذ. بينما تخطط لطور التنفيذ أثناء التفكير، اطرح أفكارك أولًا مع:

(١) **نفسك:** عندما تطرح أفكارك على نفسك، سيكسبك هذا الصدق؛ فالناس لن يصدقوا أبدًا أي فكرة ويدعموها ما لم يصدقوا صاحبها أولًا. قبل تدريس أي موضوع، أسأل نفسي ثلاثة أسئلة: «هل أؤمن بهذا من داخلي؟ هل أطبق هذا في حياتي؟ هل أؤمن أن الآخرين لا بد أن يطبقوه أيضًا؟» إن لم تكن إجابة الأسئلة الثلاثة نعم، فإذن أنا لم أرسخ الفكرة.

(٢) **الأفراد المؤثرون:** دعونا نقر بحقيقة أنه لا يمكن لفكرة أن تنجح ما لم يكن الشخص المؤثر في الأمر مؤمنًا بها، فقبل كل شيء الأفراد المؤثرون هم الذين سينقلون الأفكار من كونها مجرد نظريات إلى حيز التنفيذ.

(٣) **أكثر المتأثرين بها:** إن ترسيخ الأفكار بمشاركة الأفراد الذين ستؤثر عليهم الفكرة سيكسبك رؤية ثاقبة، فأولئك الذين تتغير حياتهم نتيجة فكرة جديدة يمكنهم أن يزودوك «بقراءة حقيقية للواقع». وهذا أمر غاية في الأهمية؛ لأنه من الممكن — في بعض الأحيان — ألا تدرك الهدف، مع أنك أتممت بعناية عملية تكوين الفكرة وصياغتها وتطويرها بمشاركة مفكرين أكفاء آخرين.

(٣-٥) تنفيذ الفكرة

شدد الفيلسوف الفرنسي الحائز على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٢٧، هنري-لويس بيرجسون على أنه ينبغي للمرء أن «يفكر بوصفه رجل أفعال، ويتصرف بوصفه رجل أفكار.» فما فائدة التفكير السليم ما لم نطبقه في الحياة العملية؟ لا يمكن أن يكون التفكير دون تطبيق مثمرًا.

عندما يتعلم الإنسان أن يتقن جيدًا عملية التفكير، يقوده ذلك إلى التفكير المثمر. وإذا استطاع الإنسان أن يدرب نفسه على عملية التفكير السليم ويحوله إلى عادة حياتية، فما إن يكون الأفكار ويصوغها وينميها ويرسخها، حتى يكون تنفيذها أمرًا ممتعًا وسهلًا.

(٤) سمات المفكر البارع

كثيرًا ما تسمع من حين لآخر أحدهم يشير إلى صديق أو زميل على أنه «مفكر بارع». لكن مفهوم هذه العبارة يختلف من شخص لآخر؛ فقد تعني لأحدهم ارتفاع معدل الذكاء؛ وتعني لآخر معرفة مجموعة من التفاصيل الصغيرة في مجال معين، أو القدرة على اكتشاف مرتكب الجريمة لدى قراءة رواية غامضة. في رأيي لا تقتصر عملية التفكير السليم على شيء واحد بعينه، وإنما تنطوي على عدة مهارات تفكير محددة. كي يصبح الإنسان مفكرًا بارعًا لا بد أن يبذل قصارى جهده كي يطور هذه المهارات.

لا يهم إن كنت قد وُلدت ثريًّا أم فقيرًا؛ ولا يهم إن كنت حاصلًا على شهادة متوسطة أم تحمل درجة الدكتوراه، ولا يهم كذلك إن كنت تعاني إعاقات عديدة أم تنعم بوافر الصحة، فمهما كانت ظروفك، يمكنك أن تصبح مفكرًا بارعًا. كل ما عليك هو أن تملك الإرادة كي تنخرط في عملية التفكير بصفة يومية.

في كتاب «شركات أنشئت لتبقى» يصف جيم كولينز وجيري بوراس معنى أن تكون الشركة ذات استراتيجيات بعيدة النظر، وأن تتبوأ قمة الشركات الأمريكية الناجحة، على النحو التالي:[1]

> الشركات ذات الاستراتيجيات بعيدة النظر تشبه العمل الفني العظيم. تذكر لوحات مايكل أنجلو التي يصور فيها سفر التكوين على سقف كنيسة سيستاين، أو تمثال النبي داود؛ تذكر الروايات العظيمة والخالدة مثل «هاكلبيري فين» أو «الجريمة والعقاب»، أو السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، أو مسرحية هنري الخامس لشكسبير؛ تذكر مبنى رائع التصميم مثل التحف المعمارية لفرانك

لويد رايت أو لودفيج ميس فان دير روه؛ لا يمكنك الإشارة إلى أي عنصر منفرد أدى إلى نجاح الأمر برمته، بل هي المنظومة «الكاملة» التي أدت إلى عظمة خالدة، فجميع الأجزاء تتضافر معًا لتحقيق تأثير إجمالي.

تشبه عملية التفكير السليم ذلك الأمر، فالمرء بحاجة إلى كل أركان عملية التفكير كي يصبح قادرًا على إنجاز أمور عظيمة. وتتضمن هذه الأركان المهارات الإحدى عشرة الآتية:

- فهم حكمة التفكير من منظور شامل.
- إطلاق طاقات التفكير المركز.
- اكتشاف روعة التفكير الإبداعي.
- إدراك أهمية التفكير الواقعي.
- إطلاق طاقات التفكير الاستراتيجي.
- إدراك قوة التفكير في الاحتمالات.
- تطبيق دروس التفكير التأملي.
- التشكك في قبول التفكير السائد.
- الحث على المشاركة في عملية التفكير المشترك.
- استشعار الرضا الذي يبعثه التفكير الإيثاري.
- الاستمتاع بعائد التفكير في النتائج النهائية.

وبينما تتعمق في قراءة الفصول التي يتناول كل منها نوعًا من التفكير، ستجد أنها لا تحاول أن تملي عليك «فيما» تفكر؛ لكنها تسعى نحو أن تعلمك «كيف» تفكر. وعندما تتعرف على كل مهارة، ستجد أنك تتقن بعضها ولا تتقن البعض الآخر. تعلم أن تنمي كلًّا من مهارات التفكير تلك، وعندئذ ستنمي تفكيرك. أتقن منها قدر ما تستطيع — ولا سيما عملية التفكير المشترك التي تساعد على تعويض نقاط ضعفك — وعندئذ ستتغير حياتك.

الفصل الأول

صقل مهارة التفكير من منظور شامل

«لا يُقاس الناجحون بطولهم أو عرضهم أو وزنهم أو الشهادات الجامعية الحاصلين عليها أو العائلة التي ينحدرون منها، وإنما بقدرتهم على التفكير.»

ديفيد شوارتز

يمكن أن تفيد مهارة التفكير من منظور شامل أي إنسان في مهنته؛ فعندما يقول شخص مثل جاك ويلش لأحد موظفي شركة جنرال إلكتريك إن العلاقة بالعميل أهم من بيع المنتج له، فهو بذلك يذكره بالصورة الكبيرة الشاملة. وعندما يضيق الوالدان ذرعًا بتدريب الطفل على استخدام المرحاض، أو عندما يحرز أبناؤهما درجات ضعيفة، أو عندما يتسببون في حوادث ينجم عنها تلف بسيط، ويذكر أحدهما الآخر أن الوقت العصيب الحالي لن يدوم إلى الأبد وأنه مؤقت فحسب؛ فإنهما بذلك يستفيدان من تلك النظرة الشاملة للموضوع. قال المستثمر العقاري دونالد ترامب: «في جميع الأحوال أنت مضطر أن تفكر، فلمَ لا تفكر تفكيرًا شموليًّا؟» يضفي التفكير في الأمور من منظور شامل الكمال والنضج على تفكير الإنسان، كما يكسبه رؤية ثاقبة. يشبه هذا النوع من التفكير توسيع إطار الصورة، وعندئذ لن يقتصر التوسيع على ما تراه فحسب وإنما على ما تستطيع أن تفعله أيضًا.

اقض الوقت بصحبة ذوي النظرة الشاملة، وسوف تجد أنهم:

لا ينقطعون عن التعلم

لا يكتفي أصحاب النظرة الشاملة بما يتمتعون به من معرفة أبدًا؛ فهم حريصون على زيارة أماكن جديدة، وقراءة كتب جديدة، والالتقاء بأناس جدد، وتعلم مهارات جديدة، من ثم يتمتعون على الدوام بالقدرة على الجمع ما بين الأشياء المتنافرة. إنهم تلاميذ دائمون في مدرسة الحياة.

لكي أعين نفسي على الاحتفاظ بالميل إلى التعلم بداخلي، أقضي لحظات معدودة كل صباح أفكر في فرص التعليم التي يمكن أن أحظى بها في هذا اليوم. عندما أطلع على جدول الأعمال اليومية ومفكرتي — كي أعرف من سألتقي بهم في هذا اليوم، وماذا سأقرأ، وأي اجتماعات سأحضر — أعرف أين سأتعلم شيئًا جديدًا على الأرجح، وعندئذ أهيئ نفسي ذهنيًّا كي أبحث بعناية عن شيء من شأنه أن يفيدني في هذا الموقف. إن كانت لديك الرغبة في مواصلة التعلم، أود أن أشجعك على أن تدقق في يومك وتبحث فيه عن فرص للتعلم.

ينصتون باهتمام

الإنصات إلى شخص ينعم بالخبرة والمعرفة في مجال جديد يُعد هو إحدى الطرق الرائعة التي يجب أن يتبعها الإنسان حتى يكتسب خبرة واسعة في هذا المجال. أحاول دائمًا أن أغتنم مثل تلك الفرص؛ في سنة من السنوات حاضرت ما يقرب من تسعمائة مدرب وكشاف مواهب من المشاركين في مسابقة «سنيور باول»، التي يلعب فيها طلاب السنة النهائية الذين يمارسون رياضة كرة القدم الأمريكية في آخر مباراة لهم قبل التخرج. وقد سنحت لي الفرصة أنا وزوج ابنتي، ستيف ميلر، أن نتناول العشاء مع كبار مدربي دوري كرة القدم الأمريكية: ديف وانستيدت، وبوتش ديفيز. وقلما تتكرر مثل تلك الفرص، لذا طرحت عليهما أسئلة بشأن العمل الجماعي، وقضيت الكثير من الوقت أستمع إليهما. وفي نهاية الأمسية، بينما كنت أسير

أنا وستيف نحو السيارة، قال ستيف: «جون، أنا على يقين من أنك طرحت مائة سؤال على هذين المدربين.»

فأجبته: «إن كنت أبغي أن أتعلم وأنضج في حياتي، فلا بد من أن أعرف نوعية الأسئلة التي أطرحها، وأن أعرف أيضًا كيف أطبق إجاباتها في حياتي. لقد تعلمت من الإنصات أكثر بكثير مما تعلمت من التكلم.»

عندما تلتقي بالناس، من الأفضل أن تكون لديك خطة مسبقة حتى يمكنك التعلم. إنه لأمر عظيم أن تتحاور مع أناس يفعلون أشياء لا تستطيع فعلها. يعي أصحاب النظرة الشاملة أنهم لا يعرفون الكثير من الأشياء، لكنهم يطرحون باستمرار أسئلةً ثاقبةً كي يوسعوا مداركهم ويطوروا أفكارهم. وإن أردت أن تنمي مهارة التفكير من منظور شامل، فحسن قدرتك على الإنصات إذن.

ينظرون إلى الأمور من منظور واسع

يقول الكاتب هنري ديفيد ثورو: «في كثير من الأحيان لا نرى الشيء، على الرغم من أنه يكون واقعًا في نطاق رؤيتنا، وذلك لأنه يكون خارج نطاقنا الفكري.» بطبيعة الحال يرى البشر عالمهم أولًا. على سبيل المثال: عندما يصل مجموعة من الناس إلى مؤتمر حول القيادة تنظمه شركتي، نجد أن شغلهم الشاغل هو أين سيوقفون السيارة، وهل سيتسنى لهم الحصول على مقعد جيد (ووثير)، وهل سيكون المتكلم قد بدأ في المحاضرة، وهل خُصصت فترات راحة في أوقات مناسبة. وعندما أصل أنا لأحاضر في نفس المؤتمر يكون شغلي الشاغل هو هل الإضاءة جيدة، هل تعمل معدات الصوت جيدًا، هل منبر المتكلم قريب من الجمع قربًا كافيًا، وهلم جرًّا. ما تراه وما يشغل تفكيرك يعتمد على من تكون.

يدرك ذوو النظرة الشاملة أن هناك عالمًا آخر إلى جانب عالمهم الخاص، وهم يبذلون قصارى جهدهم كي يخرجوا من عالمهم ويروا عالم الأشخاص الآخرين بعيون هؤلاء الأشخاص، فمن الصعب مشاهدة صورة وأنت بداخلها. ولكي ترى الأمور من منظور الآخرين، لا بد أن تعرف أولًا كيف يفكرون،

وبالطبع يساعد الإنصات جيدًا في هذا الصدد، وكذلك العمل على تجاهل مصالحك الشخصية ومحاولة تقبل وجهة نظر الآخرين.

يعيشون حياة مكتملة

كتب رائد كتابة المقالات الفرنسي ميشيل دي مونتين يقول: «لا تكمن قيمة الحياة في عدد الأيام التي نحياها، وإنما فيما نصنعه في هذه الأيام، فقد يعيش الإنسان عمرًا مديدًا ومع ذلك فهو لم يعش إلا أقل القليل.» والحقيقة هي أن الإنسان يمكنه أن يقضي حياته كيفما شاء، لكنه سيقضيها مرة واحدة فحسب. وعندما يكتسب الإنسان مهارة التفكير من منظور شامل، يمكن أن يعينه ذلك على أن يحيا حياة متكاملة، حياة موفقة للغاية. يعمق الأشخاص الذين يرون الصورة الشاملة للحياة خبراتهم لأنهم يوسعون عالمهم، ومن ثم، يفوق ما ينجزونه في حياتهم كثيرًا ما ينجزه الأشخاص محدودو الأفق. ناهيك عن أنهم لا يتعرضون أيضًا للكثير من المفاجآت غير السارة لأنهم أغلب الظن يرون العناصر المختلفة، من قضايا وأشخاص وعلاقات وتوقيت مناسب وقيم؛ التي يتضمنها الموقف الذي هم بصدده. ومن ثم هم يتحلون عادة بقدرة أكبر على تحمل الآخرين وطرق تفكيرهم.

(١) لماذا ينبغي لنا اكتساب مهارة التفكير من منظور شامل؟

لعلك تدرك بالبديهة أن طريقة التفكير من منظور شامل نافعة. قليلون هم من يبتغون أن يكونوا منغلقي الفكر، فلا أحد يسعى لأن يكون كذلك. لكن إن كنت غير مقتنع تمامًا بالتفكير من منظور شامل، فضع في اعتبارك عدة أسباب بعينها ستعرف من خلالها لماذا ينبغي لك أن تفكر في الأمور من منظور شامل:

(١-١) يؤهلك التفكير من منظور شامل للقيادة

يمكن أن تجد الكثير من أصحاب النظرة الشاملة من هم غير قادة، لكنك ستجد قليلين وسط القادة من هم ليسوا من أصحاب النظرة الشاملة.

فلا بد أن يكون القادة قادرين على فعل الكثير من الأشياء الهامة من أجل مرءوسيهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) **صياغة الرؤية قبل مرءوسيهم.** كما أنهم يرون الرؤية بوضوح أكبر ودقة أكبر، مما يتيح لهم:

(٢) **تقييم المواقف، مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات المتعددة:** القادة الذين يتمتعون بنظرة شاملة للأمور يرون الاحتمالات والمشكلات التي تمكنهم من وضع الأساس الذي سيبنون عليه رؤيتهم. وما إن يفعل القادة هذا، يمكن لهم:

(٣) **وضع مخطط يوضح مسار الفريق،** ويوضح أيضًا أي تحديات أو معوقات محتملة. لا ينبغي أن يقتصر هدف القادة على جعل أفراد فريقهم يشعرون بالراحة، بل أيضًا يساعدونهم على أن يكونوا أفرادًا صالحين بالفعل وأن يدركوا أحلامهم. وعندما تترسخ لدى القادة رؤية واضحة، يتسنى لهم:

(٤) **إبراز أوجه ارتباط المستقبل بالماضي في سبيل جعل رحلة الحاضر هادفة:** عندما يدرك القادة قيمة الحاجة إلى هذا الربط ويسدون الفجوة بالفعل بين الماضي والمستقبل، عندئذ يمكنهم:

(٥) **اغتنام الفرصة عندما يحين الوقت المناسب:** في فن القيادة، لا يقل التوقيت المناسب للعمل أهمية عن العمل الذي تقوم به نفسه. وكما ذكر وينستون تشرتشل: «تأتي لحظة مميزة في حياة كل إنسان، وهي اللحظة التي وُلد هذا الإنسان من أجلها ... ومتى اغتنمها ... نعم بأفضل أوقات حياته.»

وسواء أكنت تعمل في مجال إنشاء الطرق، أو تخطط للقيام برحلة، أو تتخذ خطوات نحو إتقان فن القيادة، فإن مهارة التفكير الشامل سوف تجعلك تنعم بمزيد من النجاح. يحظى الأشخاص الذين ينظرون إلى الصورة الكاملة بأفضل فرص النجاح في أي من مساعيهم في الحياة.

(١-٢) التفكير من منظور شامل يبقي الهدف نصب عينيك

قال توماس فولر، كاهن تشارلز الثاني ملك إنجلترا: «من يركض وراء أرنبين لا يدرك أيًّا منهما.» كي تنجز شيئًا، لا بد أن تركز، لكن كي تنجز الشيء الصحيح، فلا بد أن تأخذ بعين الاعتبار الصورة الشاملة للموضوع. عندما تفكر في أنشطتك اليومية في ضوء الصورة الشاملة، عندئذ فقط ستتمكن من أن تبقي الهدف نصب عينيك. وكما قال آلفين توفلر: «يجب عليك أن تضع في اعتبارك «الأشياء الكبيرة» أثناء قيامك بالأشياء الصغيرة، حتى تسير كل الأشياء الصغيرة في المسار الصحيح.»

(١-٣) التفكير من منظور شامل يمكنك من أن ترى ما يراه الآخرون

القدرة على رؤية الأشياء من وجهة نظر الآخر هي واحدة من أهم المهارات التي يمكنك أن تنميها من أجل الحفاظ على العلاقات الإنسانية، وهو ما يعد أحد مقومات التعامل مع العملاء، وإرضاء الزبائن، والحفاظ على الزواج، وتربية الأطفال، ومساعدة الفقراء، وما إلى ذلك. يمكن توطيد جميع التفاعلات الإنسانية عن طريق القدرة على أن يضع الإنسان نفسه مكان الآخر. كيف؟ لا تصب تركيزك على نفسك واهتماماتك وعالمك الخاص، بل انظر إلى ما هو أبعد منك. عندما تعمل على دراسة قضية ما من جميع الزوايا الممكنة، اختبرها في ضوء تاريخ حياة الآخر، واكتشف اهتمامات الآخرين ومخاوفهم، وحاول أن تنحي مصالحك الشخصية جانبًا، عندئذ ستبدأ في رؤية ما يراه الآخرون. وهذا شيء عظيم.

(١-٤) التفكير من منظور شامل يعزز العمل الجماعي

إذا كنت تشارك في أي شكل من أشكال الأنشطة الجماعية، فستدرك إذن مدى أهمية أن يرى أعضاء الفريق الصورة الكاملة، وليس دورهم فحسب. في أي وقت من الأوقات لا يدرك فيه الفرد كيف أن دوره يتناغم مع باقي أدوار زملائه في الفريق، يصير الفريق بأسره في محنة. فكلما تمكن أعضاء

الفريق من الإلمام بالصورة الشاملة، زادت إمكانية العمل معًا بنجاح كفريق واحد.

(١-٥) التفكير من منظور شامل يجنبك الوقوع فريسة للأمور التافهة المملة

لنقل صراحةً إن بعض مظاهر الحياة اليومية تعد غاية في الضرورة لكنها مثيرة للضجر إلى حد بعيد. لكن أصحاب النظرة الشاملة لا يدعون آفة الملل تطولهم، لأنهم لا يفقدون رؤيتهم للصورة العامة المهمة. وهم يدركون أن من يغفل عن الهدف الأسمى يصبح أسيرًا للأمور الفورية العاجلة.

(١-٦) التفكير من منظور شامل يساعدك على إدراك أشياء لم يتطرق إليها أحد من قبل

هل سمعت من قبل عبارة: «لا تعبر الجسر قبل بلوغ الجسر»؟ قطعًا صاغ هذه العبارة شخص يعاني مشكلة في رؤية الصورة الكاملة. لقد قام العالم على أكتاف أناس «عبروا الجسور» الفكرية قبل أي أحد آخر بوقت طويل. إن السبيل الوحيد إلى الريادة واكتشاف أمور جديدة هو أن ترى الصورة الشاملة، وألا تنظر تحت قدميك.

(٢) كيف تكتسب مهارة التفكير من منظور شامل

إذا كنت ترغب في أن تغتنم فرصًا جديدة وتفتح آفاقًا جديدة، فلا بد عندئذ أن تضيف إلى قدراتك مهارة التفكير من منظور شامل. فلكي تصبح مفكرًا بارعًا يجيد رؤية الصورة الشاملة للموقف، ضع في اعتبارك الاقتراحات التالية:

(٢-١) لا تستمت من أجل الوصول إلى اليقين

لا يجد أصحاب النظرة الشاملة غضاضة في الغموض، ولا يحاولون أن يقحموا كل ملحوظة أو معلومة في قوالب ذهنية مصاغة مسبقًا. فهم يفكرون

من منظور واسع شامل وبمقدورهم تقليب العديد من الأفكار التي تبدو متناقضة في أذهانهم في الوقت نفسه. إذا كنت تريد أن تصقل قدرتك على التفكير من منظور شامل، فلا بد أن تألف اعتناق أفكار معقدة ومختلفة وتتعامل معها.

(٢-٢) تعلم من جميع الخبرات

أصحاب التفكير من منظور شامل يوسعون نظرتهم العامة عن طريق بذل جهود مضنية للتعلم من جميع الخبرات، فهم لا يكتفون بالنجاح الذي أحرزوه، وإنما يتعلمون من هذا النجاح، والأهم من ذلك أنهم يتعلمون من فشلهم أيضًا، والذي يمكنهم من هذا هو سعيهم الدءوب نحو التعلم.

تساعدك الخبرات المتنوعة — الإيجابية منها والسلبية — على رؤية الصورة الشاملة للأمور، وكلما تنوعت الخبرات والنجاحات، زادت إمكانية التعلم منها. إذا كنت ترغب في أن تكتسب مهارة التفكير من منظور شامل، اخرج للحياة، وجرب الكثير من الأشياء، واغتنم الكثير من الفرص، واقض الوقت في التعلم بعد كل انتصار أو هزيمة.

(٢-٣) اكتسب البصيرة من أناس مختلفين

يتعلم أصحاب النظرة الشاملة من خبراتهم، بل ويتعلمون أيضًا من خبرات غيرهم. وبعبارة أخرى، هم يتعلمون من خلال اكتساب بصيرة الآخرين؛ العملاء، والموظفين، والزملاء، والقادة.

إذا كنت تريد أن توسع مداركك وتبصر جوانب أخرى من الصورة الشاملة، فالتمس المساعدة من أهل المشورة. لكن كن حكيمًا فيمن تطلب النصح منهم؛ فاكتساب البصيرة من أفراد آخرين لا يعني أن توقف عشوائيًا أي فرد يقابلك في الطرقات وفي متاجر البقالة وتسأله عن رأيه في موضوع ما. كن حذرًا في اختيارك. تحدث مع أناس يعرفونك ويهتمون بأمرك؛ أناس متمرسون في مجالهم ولديهم خبرة أعمق وأوسع من خبرتك.

(٢-٤) امنح نفسك الفرصة لتوسيع آفاق عالمك

إذا أردت أن تصبح من ذوي النظرة الشاملة، فعليك أن تسير خارج القطيع. يريد المجتمع أن يضع الناس في قوالب، ويذعن معظم الناس للوضع الراهن؛ فهم يريدون ما كان وليس ما يمكن أن يكون، وينشدون الأمان والحلول السهلة. وكي تعتنق طريقة التفكير من منظور شامل، فلا بد أن تسمح لنفسك بأن تسلك طريقًا مختلفًا، وأن تجرب أشياء جديدةً، وأن تعثر على عوالم جديدة تغزوها. وعندما يتسع عالمك بالفعل، فلا بد أن تفتخر بذلك. ولا تنس أبدًا أن العالم يحفل بالكثير من الخبرات التي لم تمر بها.

داوم على التعلم، والنمو، والنظر إلى الأمور من منظور شامل! إذا كنت ترغب في أن تصير مفكرًا بارعًا كفئًا، فهذا هو كل ما عليك فعله.

سؤال للتفكير

هل أفكر خارج نطاق نفسي وعالمي الخاص بحيث أعالج الأفكار من منظور شامل؟